فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

تفاعل القلب مع الوحي

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد عبد المنعم

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-86055.htm

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

المفروض إن شاء الله إن إحنا نبدأ مع بعض سورة الأنعام، لكن قلنا الدرس اللي قبل سورة الأنعام هيبقى مقدمة هامة في التعامل مع القرآن عمومًا وأهمية كتاب الله عز وجل في الهداية، وإن شاء الله النهارده هناخد آيات من سورة النحل، الآيات اللي في سورة النحل بتتكلم عن سنن كونية، الله عز وجل سنها في الكون، لكن السنن الكونية دي ليها فوائد وإسقاطات كسنن معنوية، وهنتكلم عن الدليل على إننا ينفع نسقط السنن الكونية على السنن المعنوية في القرآن.

البُعد عن القرآن هو البُعد عن الهدى والنور

كتاب ربنا سبحانه وتعالى أنزله الله عز وجل هدًى للناس، فيجب على الناس إن هم يتعاملوا مع كتاب الله حتى نصل إلى الهدى، القواعد العامة دي المفروض مستقرة في الفطرة وفي النفوس لكن مع طول الأمد بننسى الكلام ده، كل بُعد عن القرآن هو بُعد عن الهدى، كل بُعد عن القرآن هو بُعد عن النور، إذًا المجتمع الخالي من تداول القرآن بينه مجتمع بيعيش في ضلال وبيعيش في ظلام وبيعيش في استخفاف، ممكن يُستخف..

إحنا لسه من الآيات اللي قرأناها في صلاة العشاء في آخر سورة سبأ ربنا سبحانه وتعالى يقول على لسان النبي –صلى الله عليه وسلم– "قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي" سبأ: ٥٠

يبقى إذًا الهداية، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول لو فيه هداية في حياتي يبقى بسبب إيه؟ بسبب الوحي..

"قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ؟ فبسبب.. "فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي"

ربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– في آخر سورة الشورى "مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ"الشورى: ٥٢

يبقى إذًا إحنا من غير وحي مانعرفش الكتاب إيه والتشريعات مانعرفوش.. هنضل، يبقى لو ابتعدنا عن القرآن.. ده كلام لمين؟ للنبي –صلى الله عليه وسلم– فالبتالي لينا إحنا من باب أولى.

إذن يجب أن نتعامل مع القرآن حتى نتفاعل مع القرآن ونخرج نور ولا سيما الدعاء إلى الله عز وجل، المفروض لما ييجي يدعو إلى الله عز وجل يكون الكلام اللي بيخرج منه –اللفظة دي مهمة جدًا– يكون الكلام اللي بيخرج من الدعاة لابد يكون تفاعل مسبق بين الداعية وبين القرآن ينتج نور يوصل النور ده للناس، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم" خد بالك من الكلام "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضًا" فيه غيث أصاب إيه؟ أصاب أرضًا، "فكان منها" أي من أنواع الأرض؟ أرض "نقية" ..كان

منها أرض إيه؟ الأرض نضيفة .. نقية "فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير" خد بالك من كلمة نقية وكلمة قبلت وكلمة أنبتت.. الثلاث كلمات دول هي دي المعادلة قلب نقي يقبل الوحي، ينبت للناس النور "فكان منها" أرض "نقية فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير" صحيح البخاري نقية وقبلت وأنبتت دول التلات عناصر في المعادلة اللي إحنا عايزينها علشان نخرج للناس العشب والكلأ الكثير أو نخرج للناس النور لازم يبقى قلوبنا نقية تقبل الوحي، تنبت التفاعل، دي كلمة "وأنبتت الكلأ والعشب الكثير".

قصة تفاعل القلوب مع القرآن فيه نصوص كتير فيها وكان فيه درس مسبق اسمه "إنه القرآن" بيتكلم عن النصوص اللي بتتكلم عن تفاعل القلب مع القرآن.

ده مش عايزين نطوّل فيه، المهم يحدث تفاعل القلب مع القرآن، التفاعل ده ممكن يحدث بصورة فردية وممكن يحدث بصورة جماعية.

من صور تفاعل القلب مع القرآن:

أفضل صورة لتفاعل القلب مع القرآن كصورة فردية.. في قيام الليل، ربنا سبحانه وتعالى بيقول "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا" المزمل:٦

"ناشئة الليل": قيل الصلاة التي تنشأ بالليل، وقيل المعاني اللي تنشأ بالليل نتيجة القيام بالقرآن يبقى فيه نور، فيه تفاعل بينتج أو كما بالحديث بينبت العشب والكلأ، فيه تفاعل بينتج نور، الإنسان لما بيقوم بالليل يصلي قلبه بيتفاعل مع القرآن يطلّع نور بيحدث بالليل في الخلوة بعيد عن دوشة الناس والانشغال بالأسباب فكان أرضًا نقيًا قبلت أنبتت، هنا "نَاشِئَةَ اللَّيْلِ" تنشأ بالليل. "هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا": أي أشد تأثيرًا على الإنسان، يبقى تفاعل القلب مع القرآن بيأثر في حياة الإنسان، التفاعل ده لما بييجي في قيام الليل حياة الإنسان بتتغير.. "أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا": أكثر فهمًا وسدادًا في الرأي.

من صور تفاعل الناس مع القرآن بصورة جماعية: حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– "وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم" مش بس تلاوة، مجموعة بيتجمعوا في المسجد مكان طاهر.. "ما اجتمع" يعني مجموعة مجتمعة مش مختلفين، متنافرين جايين يتخانقوا، كذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول "اقرَؤوا القرآنَ ما ائتَلَفَتْ قُلوبُكم، فإذا اختَلَفتُم فقوموا عنه" صحيح البخاري مش تروحوا علشان تتخانقوا ودا يجيب دليل ودا يجيب دليل وتقعدوا تجردوا القرآن! لأ قوموا الوقت اعملوا أي عمل صالح تاني.

"ما اجتمع قوم" يبقى قلوب متآلفة "في بيت" ومكان طاهر "في بيت من بيوت الله" يعملوا إيه؟ "يتلون كتاب الله ويتدارسونه، الدرس إنك بتعيد حاجة زي الماكينة اللي بتدرس الحبوب كده تقعد تلف عليها تلف عليها، فالمدارسة إنك تقعد تيجي على المعنى مرة واتنين وتلاتة علشان تطلّع الخبايا اللي في المعنى ده "ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السكينةُ، وغشيتْهم الرحمةُ وحفّتهم الملائكةُ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده" صحيح مسلم

احتفاء كوني بناس، مجموعة صغيرة قاعدة في مسجد صغير، ليه؟ لإن المجموعة الصغيرة دي بتنتج أفضل شيء الكون كله محتاجه دي عملية إنتاج النور للناس أخطر من إنتاج مفاعل نووي، أي عملية صناعية كبرى بتتم في العالم هي مهمة جدًا لكن مهمة لدنيا الناس، تفاعل الطائفة المؤمنة البسيطة اللي قاعدة في مسجد بينتج نور، لذلك ربنا بيقول إيه؟ الملائكة بتحفهم سواء بقى حبًا ليهم أو حفظًا ليهم علشان الشياطين ماتخشش، الملايكة بتقعد تحفهم ورحمة تنزل عليهم علشان يوفقوا والسكينة علشان مايختلفوش وربنا يذكرهم تشريف ليهم، احتفاء رحمة وسكينة وربنا بيذكرهم في الملأ الأعلى والملايكة.. ليه؟ بيعملوا إيه؟ بيتدارسوا القرآن..

يبقى عملية التفاعل لإنتاج النور هي أخطر عملية بتتم في هذا الكون ونظرًا لإن هذه العملية عملية الإنسان يقرأ القرآن ويتدبر القرآن عملية بهذه الخطورة لدرجة إن الملايكة يعني إحنا قاعدين دلوقت بنتدارس كتاب ربنا العملية دي عملية خطيرة، الشياطين بتنتهز الفرصة دي لذلك ربنا بيقول حتى في السورة اللي معانا سورة النحل "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ" النحل:٩٨

العمل الصالح اللي لازم قبل ما تبدؤه تستعيذ بالله.. التفاعل مع القرآن.. ليه؟ لإن العملية خطيرة أخطر عملية مش عايزها تحصل هي دي، إنك انت تتفاعل مع القرآن هيموت ودي ماتحصلش، فأول ما تيجى تفتح المصحف ولسه هتقرأ.. الشيطان ييجي لك فربنا بيقول لك خد بالك قبل ما تقرأ القرآن علشان توفق للفهم وقلبك مايبقاش منصرف وذهنك يبقى مركز.. استعذ بالله من الشيطان الرجيم، "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ" إذن هذه العملية الخطيرة بتحتاج إلى سداد وتوفيق من الله سبحانه وتعالى سواء كان بصورة فردية في قيام الليل أو بصور جماعية تدارس كتاب الله في بيت من بيوت الله، فالعملية دي بتنتج إيه؟ بتنتج ناشئة الليل بتنبت الكلأ والعشب الكثير بتنتج السكينة والرحمة، بتنتج حاجات كتير.

ربنا برضه قال في سورة النور "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ" النور:٣٥ ربنا قال يوقد من شجرة مباركة أيًا كان الآيات دي ممكن تبقى عايزة درس تاني.

النتيجة النهائية إن ربنا بيقول تفاعل القلب مع القرآن بيعمل إيه؟ بيعمل "يُوقَدُ" "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ.." يعني نور الإيمان في قلب المؤمن"كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ" المشكاة دي هي الفطرة السليمة، المصباح ده القلب السليم "الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ" الزجاجة دي صدر المؤمن، صدر المؤمن وقلب المؤمن وفطرة المؤمن بتكتسب الوقود منين؟

وإنت عاوز تبقى قوي، لذلك في الآيات اللي بعدها "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ" ، إزاي بقوا رجالة وإزاي بقى عندهم قوة ضد فتن الدنيا؟ " لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ" النور٣٦:٣٧ جابوا الوقود ده منين؟ جابوه من "شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ" النور:٣٥، ده قيل ده القرآن، يبقى الإنسان عشان يكتسب وقود ويكون له قلب مُتقِّد، يعني قلب لا يخاف، قلب مشتعل، قلب متحمس.. يقول لك

ده إنسان مُتقِّد، الوقود في اللغة يوقَد فيها معنى الإضاءة، فيها معنى الطاقة، فيها معنى القوة، يبقى الطاقة والقوة والإضاءة والنور ده بيبجي منين في قلب المؤمن وصدر المؤمن؟ بيبجي منين؟ في تفاعل القرآن، وسبحان الله آيات سورة النور شبه حديث "ما اجتمعَ قومٌ" ربنا قال: "كمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ"، ده صدر المؤمن والفطرة السليمة، زي القلوب الطيبة اللي اجتمعت في المسجد، "يُوقَدُ" دي عاملة زي العشب الكثير وعاملة زي السكينة والرحمة، فين؟ "فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ"..

زي حديث "ما اجتمعَ قومٌ في بيت من بيوت الله" صحيح البخاري، تطلع لنا إيه؟ تطلع لنا آية "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ" النور:٣٧.

يبقى إذن دي مقدمة خطورة وأهمية تفاعل القلب مع القرآن، وإن دي عملية مهمة جدًا، لدرجة إن النبي –صلى الله عليه وسلم –في الحديث الرائع بتاع "مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به من الهُدَى والعِلْمِ، كمَثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضًا، فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ" صحيح البخاري، تخيل إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول لك طيب افرض إن فيه ناس مش قادرة تقوم بعملية التفاعل دي، قلوبها مش نقية أوي، وده مسلم ومؤمن وعامل لدين الله، تخيل إيه دوره؟

النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول إيه بقى؟ "فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ" أجادب يعني أرض مسكت المية بس ماعرفتشَ تطلّع نبات "وكانت منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشَرِبُوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً" صحيح البخاري

القلوب ثلاثة:

يبقى القيعان لا مسكت مية ولا أنبتت، يبقى الأراضي تلاتة والقلوب تلاتة: قلب يتفاعل ويُنبت، قلب لا يستطيع أن يتفاعل لكن يستطيع أن يُمسك الماء، الأرض الأخيرة لا تُمسك ولا تُنبت، يبقى أنا مع الوحي حاجة من اتين عشان أكون من الناس اللي أصابهم المدح في الحديث: اتنين طائفتان ممدوحتان أو نوعين من الأراضي النبي –صلى الله عليه وسلم– مدحهم، يا إما تتفاعل مع القرآن، يا إما تحافظ على القرآن، تروح توديه لناس جايز الناس دي اللي تتفاعل مع القرآن.

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول حتى في الحديث نفس القضية مع القرآن "نضر الله إمرءًا سمع مقالتي فوعاها" حفظها كويس مسكها، "فأداها كما سمعها" ليه؟ "فرب مبلِّغ أوعى له من سامع" صححه الألباني

يبقى الأرض الأجادب ممكن يبقى كل دورها إنه يحافظ على القرآن ويحافظ على الوحي والسنة عشان يوديها لناس تتفاعل يطلع النور، يبقى الغرض الأساسي تفاعل القلب مع القرآن أو مع الوحي من القرآن والسنة.

إذن إما انك تتفاعل أرض نقية أو رزق بقى أرض أجادب يحافظ على المية يوديها لحد يتفاعل أو واحد بسيط هيشوف واحد داعية تعامل مع القرآن أرض نقية تفاعل مع القرآن وأنبت العشب والكلأ الكثير يقوم ياخد العشب

والكلأ الكثير الناتج من تفاعل القلب ده مع القرآن ويروح يوديه للناس، يعني إيه الكلام ده؟

يعني افرض مثلًا واحد عاوز يشتغل في الدعوة وأنا لا قادر ابقى أرض نقية ولا قادر إني أكون أرض أجادب أقوم أشوف عالم تفاعل مع القرآن ابن كثير مثلًا.. وأجيب نصوصه الناتجة، كلامه ده جابه منين اللي هو تفاعل مع إيه، آخد العشب والكلأ اللي أنبته ووصّله للناس.

يبقى أنا أحرص في الدعوة إني مش أي عشب وكلأ أديه للناس، مش أي حاجة كويسة أديها للناس لأ، أنا لما آجي اقرأ الكتاب أشوف الراجل ده جايب الكلام ده منين، الأصل بتاعه جايبه منين، هو الراجل ده تفاعل مع إيه، لقيته بيقول لي مثلًا في ظلال سورة الدخان، وقفات مع سورة النور، هو بيتفاعل سواء قال الاسم فوق أو ما قالوش هو تفاعل مع النَّص، أقوم أنا جايب الكلام بتاعه وانقله للناس، فأنا بقيت كده من الأرض الأجادب اللي بتنقل.

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم –بيقول إيه: "بلغوا عني ولو آية" صحيح البخاري شوف خد بالك يعني لو انت مش أرض نقية خليك أرض أجادب، ولو انت أرض أجادب امسك ولو آية روح وصلّها للناس، كلمة عني دي يعني فيه حمل، ثقل لازم تشيل مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، بلغوا عني مش بلغوا مني، "بلغوا عني ولو آية" كأن النبي –صلى الله عليه وسلم– وظيفته إنه يبلّغ آيات القرآن آية.. آية للعالم أجمع، فبيقول لك الداعية هو ده طريق النبي –صلى الله عليه وسلم– إنه يشيل مع النبي –صلى الله عليه وسلم– ولو آية يوصلّها للناس.

وقفات مع سورة النحل:

آيات فيها كيفية تحليلية للتعامل مع القرآن:

نيجي بقى لآيات مهمة في كيفية التعامل مع القرآن لأن فيه نماذج خاطئة بتتعامل مع القرآن، تبدأ الآيات من قول الله عز وجل: "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" النحل:٦٤:٦٦

حقيقة من باب أن ننسب الفضل لأهله الآيات دي أول مَن قرأت له فتَّح لي في الآيات دي وجزاه الله خيرًا وأبدع فيها الشيخ رفاعي سرور، له مقالة اسمها "من سورة النحل سياق في علم المناسبة" بصراحة مقالة مباركة ودسمة وغنية بالنصوص، وقف مع الآيات وقفة وربط الآيات دي بالتعامل مع القرآن، إحنا هناخد الآيات من أول آية ٦٤ لغاية آية٦٩ لغاية آية النحل، طالما السورة اسمها النحل يبقى أكيد الآية بتاعة النحل فيها دلالة عظيمة لشيء معين.

فين في الآيات هنا قضية القرآن؟، هو بيقول إيه؟ سياق هذه الآيات معالجة دقيقة وتامة لقضية الاختلاف وموانعه من العلم والهدى والرحمة، فين الاختلاف في الهدى؟ والاختلاف في القرآن؟ الآيات بالرغم إنها بتتكلم عن سنن كونية، سنة إن ربنا ينزّل مية تحيي الأرض فتطلّع نبات، سنة إن ربنا خلّى اللبن يمشي بين فرث ودم ويوصله لينا سائغ، سنة النحل، دي سنن كونية، القرآن بيعلمنا دائمًا إننا نحاول الربط بين السنة الكونية وإسقاطها على سنن

معنوية، وأشهر مثال لده في القرآن " أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا " مية تنزل تمشي في سيل في الأودية على حسب كل وادي بالقدر بتاعه، التفاعل ما بين المية اللي نازلة والأودية طلع زبد بيزيد يربو زبدًا رابيًا، مش بس الزبد بينشأ بهذه الحالة "وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ" اللي مش عارف بقية الآية كأنه يقرأها لأول مرة معتقد إن ربنا بيكلمه عن أشياء بتحدث.. مية بتنزل في الأودية، المية مع الأودية يخبطوا في بعض يقوم الزبد الحاجات اللي مش نظيفة تطفو وبرده لما تيجي تدخل الذهب في النار تفضل الحاجات اللي مش نظيفة في النار تطفو على الذهب بعدين تتشال "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" الرعد:١٧

تُفاجأ إن ربنا بيقول لك ارجع اقرأ المثل على إنه صراع بين الحق والباطل، صراع الماء مع القاذورات اللي في الأودية، وصراع الذهب الصافي مع الذهب المغشوش داخل النار، ده طلع عبارة عن صراع بين الحق والباطل، يبقى إذن السنن الكونية اللي احنا بنشوفها في الحياة ينفع نستنبط منها بتوفيق من الله عز وجل وفهم للنصوص سنن معنوية سواء صراع الحق والباطل، سواء الوحي، سواء الهدى، النور، الولاء والبراء.. سنن معنوية أيضًا!
ودي نقطة مهمة جدًا في القرآن، وأغلب الأمثلة كده: "مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ" العنكبوت: ٤١، ربنا جاب مشهد عنكبوت بيتخذ بيت وبيحتمي بيه، المشهد ده انت لازم لما تشوفه، ده مشهد سنن مادية في الحياة، المشهد ده تستخلص منه سُنة معنوية، إن ده صراع أهل الباطل واحتماء أهل الباطل بباطلهم: "وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ" الحشر: ٢، شبه العنكبوت اتخذ دي. يبقى عقل المؤمن بيستفيد من سنن الكون فيه سنن معنوية في السير إلى الله، وفيه دلالات وإشارات في النصوص تساعدك على ذلك.

إيه الدلالة هنا؟ قول الله عز وجل "وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل: ٦٥. إيه علاقة السماع بنزول الماء على الأرض؟ إلا إذا كان من معاني نزول الماء على الأرض هنا تشبيه نزول الوحي على الأرض. ولن يستفيد من نزول الوحي على الأرض إلا القلب الإيه؟ "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ " الأنعام: ٣٦. يبقى إذن تشبيه القرآن بالماء ده أمر مضطرد في القرآن والسنة. لسه الحديث اللي احنا قلناه : "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا" صحيح البخاري، النبي –صلى الله عليه وسلم– شبّه الوحي بالماء.

"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ" يعني إيه؟ ألم يأت الأوان للمؤمنين إن قلوبهم تخشع للقرآن؟! "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" الحديد ١٦:١٧.

إيه علاقة إحياء الأرض بعد موتها بأن القلب الميت بيستفيد من القرآن؟ نفس العلاقة هنا، يبقى هذه الإشارات

تساعدنا إن احنا ممكن نقول إن هذه الآيات فيها إشارة إلى التعاون مع كتاب الله.

سورة النحل يسميها كثير من العلماء سورة النعم

لأنها مليئة بالنعم.. تُفاجأ وانت بتستفتح سورة النحل:

"أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون" النحل: ١، أول آية بعد المقدمة: "يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ" النحل: ٢، أول نعمة، نعمة إنزال الوحي بعد كده بقى"خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" النحل: ٣، نعمة خلق السماوات والأرض.

"خَلَقَ الإِنسَانَ" النحل: ٤، نعمة خلق الإنسان "وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا" النحل: ٥، خلق الأنعام

"وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ" النحل: ٩ "هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" النحل: ١٠

"يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ" النحل: ١١، الثمرات "وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ"، النحل: ١٢

"وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ" النحل: ١٣ "وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ" النحل: ١٤ ...

سيل من النعم افتتح بنعمة الوحي! يبقى السورة اللي اسمها النحل ابتُدئت بنعمة الوحي، نيجي عند آية النحل، إذن هناك علاقة قطعية بين آية النحل وبين التعامل مع الوحي! يبقى إذن هذه السورة اللي بتسمى سورة النعم، المليئة بالنعم واسمها النحل، أول نعمة نعمة الوحي، يبقى سياق الآيات اللي في آية النحل أكيد بيتكلم عن التعامل مع نعمة الوحي. خلاص؟ و جبنا دلالات من الآية: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل: ٦٥

التعامل مع الوحي لفض الخلاف

نبدأ بقى بسياق الآيات بتاعنا: "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" النحل: ٦٤. الغريب هنا إن سياق الآية جه بصيغة الحصر والقصر: "وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ" النحل: ٦٤، والعجيب إن دايمًا نزول الكتاب أو الوحي في القرآن بييجي معاه هدى، نور، بصائر، بينات.. لكن إنه ييجي بصيغة الحصر والقصر لفض الخلاف بين الناس، دي حاجة نادرة في القرآن –أنا ماقدرش أقول إنها ما جتش غير هنا، عايزة استقصاد في القرآن، ممكن جت إشارات بالمعنى ده في سورة الشورى أو غيرها– لكن من المعاني النادرة إن ربنا يقول أنا نزلت الوحي خصيصًا لأجل فض الخلافات بين الناس، جت في سورة النحل.

يبقى إذن السياق اللي احنا بنتكلم فيه، سياق التعامل مع الوحي لفض الخلاف، يبقى احنا بنتعامل هنا إن فيه اختلافات في التعامل مع الوحي. يبقى مش بس تعامل مع الوحي، طيب ممكن واحد علماني يقول لك: هو أنا قلت لك حاجة! ما أنا موافق إن فيه وحي والوحي ده من عند ربنا، لكن أنا مختلف معاك في طريقة التعامل معاه. فربنا بيقول لك فيه خلافات بتحدث بين الناس في التعامل مع الوحي..

فيه خلاف مقبول وفيه خلاف مش مقبول، وده هييجي لنا في السياق معانا إن ربنا بيقول قبل آية "وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً" النحل: ٦٥، " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ " النحل: ٦٤، واضح إن السياق أهه بيتكلم في القرآن. يبقى ده إشارة واضحة أقوى من إشارة "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل: ٦٥. " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ" النحل: ٦٤

يبقى إذن التعامل مع القرآن بيوصلنا إلى مرحلة البيان: "إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ " يبقى الظلام اللي احنا عايشين فيه ده والخلافات الفكرية والكلام الكثير والجدل ده، لغياب القرآن! زي ما اتكلمنا في السورة المرة اللي فاتت، ماوصلناش لمرحلة البينة إلا لما ابتعدنا عن كتاب الله. "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ" النحل: ٦٤، يبقى لما نيجي نبيّن للناس من غير وحي، انت بتعمل إيه لما فيه مشكلة؟ أو فيه ناس بتكذب أو فيه ناس منافقة أو فيه دجل وفيه كذب؟ زي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "يَكونُ في آخر الزمان دجَّالونَ كذَّابونَ " صحيح مسلم، وزي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– قال "سيأتي على الناس سنوات خداعات يُكَذَّبُ فيها الصادِقُ ويُصَدَّقُ فيها الكاذِبُ" حسنه الألباني

دي منطقة ظلام ومنطقة دجل عايزين الدعاة يدخلوا المنطقة دي ينوروا للناس، كيف تدخل إلى هذه المناطق المظلمة بدون الكتاب؟! وربنا أصلًا بيقول لك من أهم أغراض نزول الكتاب، هو فض الخلاف بين الناس ده نتيجة الدجل، "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ" النحل: ٦٤، وأيضا "هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" النحل: ٦٤، إن القرآن يتحول في حياتك إلى هدى ورحمة يحتاج أولًا إلى أن توقن أنه كلام الله، أنه كلام الله عز وجل، اللي هيتعامل مع القرآن على إنه مجرد كلام مش هيصل إلى مرحلة الهدى والنور.

مش فاكر لو قلت لكم ولا لأ، كلمة بديع الزمان النورسي: إنه كان قاعد مع نفسه، عايش مع آيات القرآن، بيقول فجأة جالي خاطر بيقول له يا سعيد –اسمه سعيد النورسي– إنت عايش مع القرآن ومبسوط لأنك إنت متخيل إن القرآن كلام ربنا، إيه رأيك شيل فكرة إن القرآن كلام ربنا من ذهنك، وحاول تتعامل مع القرآن على إنه كلام بشري وشوف هو معجز والّا لأ.

فبيقول فبدأت أستجيب للخاطرة وأنسى إن القرآن كلام ربنا وأحاكم القرآن كإنه كتاب كأي كتاب ويشوف هو معجز والّا لأ. بيقول أول ما حاولت أعمل كده حسيت إن الدنيا ظلمت وصدري ضاق وتحولت الدنيا من حولي إلى ظلام، بيقول فأيقنت أن هذه الخاطرة من الشيطان، ثم عدت إلى الشيطان ؛ حوار طويل دار بينه، سجال، وفي معنى الكلام وخلاصته إن هو بيقول: لن يستفيد من القرآن إلا الموقِن أنه كلام الله.

يبقى "هُدًى وَرَحْمَةً" النحل: ٦٤ لمين؟ لقوم مش بس يسلمون، لأ ده وصلوا للإيمان. والإيمان زيادة عن الاستسلام، فيه زيادة الأمن.

الإيمان هو التصديق ولكن التصديق الآمن المطمئن، يؤمن جاية من الأمان، الأمن.. يعني اللي مؤمن مش معناه بس مصدق، ده مصدق وهو مطمن! فيه واحد مصدق بس مقلّق، وفيه واحد مصدق في كمال الطمأنينة.

السنن الكونية في سورة النحل:

دي آية مقدمة للآيات دي.. تعالى نشوف الآيات دي بقى عندنا: واحد، اثنين، ثلاثة وأربعة وخمسة ورا بعض، عندنا تقريبًا أربع سنن كونية: رقم واحد: سُنة نزول الماء على الأرض. رقم اثنين: سُنة خروج اللبن من بين فرث ودم. رقم ثلاثة: تعامل الناس مع ثمرات النخيل والأعناب واختلاف أنواع التعامل، رقم أربعة: ازاي النحل بينتج العسل؟ وكأن فيه إشارة، كل واحدة من دول هتدينا إشارة معينة لقضية القرآن.

١- الله أنزل من السماء ماءً لإحياء الأرض

فإذن الله عز وجل أنزل وحيًا لإحياء القلوب.. الله عز وجل أنزل وحيًا لإحياء القلوب الميتة، القلوب الغافلة، دي سُنة، خد بالك من "أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" النحل: ٦٥ العموم والشمول، الوحي عام وشامل للأرض كلها! فأحيا به الأرض! الماء فيه خصيصة إحياء الأرض، الله عز وجل وضع في الماء هذه القدرة إن الأرض الميتة يتحط عليه المية تحيا! القرآن يحيي القلوب "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ " الحديد: ١٦ .

لما تيجي لقلب ميت وعايز تصحيه الصدمة اللي بيعملها له دي، الصدمة دي اعملها له بالقرآن، وإلا لو صحيته بحاجة تانية هتبقى حياة مؤقتة، لكن مش أي قلب بيحيا، إيه القلوب اللي هتستفيد من الوحي، أنهي قلوب؟ القلوب المُنصتة، "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل:٦٥، الباحثة عن الحق، المُنصتة التي تريد الهداية "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" الأعراف:٢٠٤، عشان تصل للرحمة "وَهُدًى وَرَحْمَةٌ" يونس:٥٧، مش هتصل للرحمة بتاعة القرآن إلا بالاستماع والانصات، مش المقصود إنك لمَّا تشغَّل القرآن تقعد كده مِركِّز بس، لأ مش المقصود كده، لأ ده باحث عن الحق، بيتلمس الهدى.

والكلمات المشهورة لشيخ الإسلام إن القرآن فيه هدى بيعطاه الإنسان على قدر الصدق في طلبه، "القرآن فيه الهدى يُعطاه الإنسان على قدر الصدق في طلبه" انت بتُعطى الهدى اللي في القرآن على قدر صدقك في طلب الهُدى، "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ" طيب اللي مش هيسمعوا؟ "وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" الأنعام:٣٦، الموتى هنا موتى القلوب اللي رفض نزول الماء، ده اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– سماه أرض "قِيعانٌ" "وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا" النحل:٦٥، فيه أرض هتحيا وفيه أرض "قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً" صحيح البخاري، لا عايزة تتفاعل مع القرآن ولا عايزة تحفظ القرآن وتبلّغه للناس!، مش عايز!

"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل:٦٥، يبقى من السُّنن كما أن الله عز وجل أنزل الماء من السماء وبدون هذا الماء تموت الأرض وبالتالي يموت الناس كذلك أنزل الله وحيًا وبدون هذا الوحي تموت القلوب ويضل الناس، وكما أن الله تكفَّل أن الماء سينزل حتمًا إلى الأرض مهما منعه المانعون كذلك سينزل الوحي إلى الأرض مهما منعه المانعون.

٢- خروج اللبن من بين فرث ودم

الآية اللي بعدها "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" النحل:٦٦، كل كلمة في القرآن لها دلالة مفيش كلمة كده بتيجي زيادة، خد بالك "وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ.." إن ربنا سبحانه وتعالى اللي تكفل بهذه العملية، مش ربنا قال لنا عندكم أنعام، الأنعام دي هتطلّع لبن اتصرفوا وطلعوا اللبن ده من بين فرث ودم، لأ العملية دي ربنا سبحانه وتعالى تكفل بها، كان ممكن ربنا يقول لنا اتصرفوا وحاولوا تخرجوا اللبن، اللبن هيبقى موجود داخل غدد معينة في الأنعام، اكتشفوا بقى أجهزة لأن لو اللبن خرج لوحده هيختلط بالفرث والدم، اتصرفوا انتم!، لأ ربنا سبحانه وتعالى تكفّل بهذا، كما أن الله عز وجل تكفل بسقاية الناس اللبن وبإخراج اللبن من بين فرث ودم تكفل الله عز وجل بوصول الوحي إلينا صافيًا خالصًا سائغًا لا يختلط بغيره "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر:٩

ربنا اللي تكفّل بهذا غير على بعض الأقوال في قول الله عز وجل "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ" المائدة:٤٤، قيل إن الربانيون والأحبار أي العلماء "بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ" هم مسؤلون عن حفظ الوحي لذلك لمَّا تكفّل الأحبار والرهبان أو كلفهم الله بحفظ الوحي حُرِّفت الكتب، ولمَّا تكفل الله عز وجل بحفظ القرآن لم يُحرف ولن يُحرف، "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا" البقرة:٢٤، مش هيحصل خلْط أبدًا بين آيات القرآن وآيات أخرى ستظل آيات القرآن منفصلة، واضحة، مميزة، إلا "وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ" البقرة:٧٨، هم بقى اللي عملوا في نفسهم كده، لكن الوحي ذاته محفوظ، يبقى رقم واحد ربنا نزل مَية للناس تُحييهم..

عملية وصول الوحي من أول ما تكلم به الله مرورًا بسيدنا جبريل وهو نازل ومحاولة استراق الشياطين مرورًا بنزوله لصدر النبي –صلى الله عليه وسلم– ومحاولة الشيطان الوسوسة في صدر النبي –صلى الله عليه وسلم– ومرورًا بتلاوة القرآن على الناس ومحاولة الشيطان تقليد صوت النبي –صلى الله عليه وسلم– ومرورًا بنقل القرآن للناس وكتابة القرآن على الجلود والرقاع والعظم، مرورًا بالقرون ومئات السنين بيصل إلينا الوحي، محاولات الفرث والدم بتنقض على اللبن اللي هو على الوحي، على مدار مئات السنين الله عز وجل تكفل بوصول اللبن إلينا صافيًا، تكفل الله بوصول القرآن إلى كُل العالمين صافيًا، مصحف مفيهوش كلمة بره الوحي واحنا بعد أكتر من ١٤٠٠ سنة!، مين اللي عمل كده؟ الله.

"مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ" النحل:٦٦، محاولات الفرث والدم وكل ما سوى القرآن هو فرث ودم، كل ما سوى الوحي أو هو مش نابع من الوحي "أَلَا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها ؛ إلا ذكر اللهِ وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا" حسنه الألباني، اللي بيدور في القصة دي ده من القرآن، غير كده فرث ودم نجس، هي نجاسة مش لبن طاهر، الأفكار النجسة وأفكار الشياطين سواء استراق شياطين الجن أو محاولات خبيثة لشياطين الإنس، كل ده ربنا تكفل بوصول

الوحي إلينا صافيًا، يبقى قال إيه؟ "نُسْقِيكُمْ" مش تستخرجون غير اللي بعدها "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ" النحل:٦٧، أول بقى فعل هنا يُنسب للإنسان، اقرأ آية ٦٥ "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" النحل:٦٥، "فَأَحْيَا" النحل:٦٥، "نُسْقِيكُمْ" النحل:٦٦، دي بقى أول فعل بدأ الإنسان يتدخل قال إيه؟ تَتَّخِذُونَ" النحل:٦٧، يبقى ده أول فعل في التعامل مع الوحي.

"وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً" النحل:٦٥ الله عز وجل نزّل وحي، الله عز وجل حفظ اللبن من الفرث والدم، الله عز وجل حفظ الوحي من التغيير، بس هو ده اللي أنا عايزه.. الله عز وجل نزل من السماء ماءً يُحيي الأرض، الله نزل الوحي يُحي القلوب، الله حفظ اللبن من الفرث والدم، الله عز وجل حفظ الوحي من التبديل والتغيير، دول أول آيتين والاسقاط بتاعهم على الوحي.

ليه اللبن؟

خلاص المية بتُحيي الأرض، هنا بقى ليه اللبن؟ دايمًا اللبن بيُنسب للعلم والفطرة، عندنا اللبن في السُّنة ودائمًا عندنا السُّنة بتساعد في فهم القرآن، النبي –صلى الله عليه وسلم– موضوع اللبن ده جه مرتين في السُّنة أو جه طبعًا في حاجات كتير في السُّنة منها موطنين، الموطن الأول في حديث الإسراء والمعراج لمَّا جاله سيدنا جبريل وخيَّره بين اللبن والخمر، خد بالك ما بين اللبن آية ٦٦ والخمر اللي هي "سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا" النحل:٦٧، سكرًا هنا قيل الخمر آية ٦٧، خيّره ما بين الاتنين فاختار النبي –صلى الله عليه وسلم– اللبن فقال له جبريل "اخترتُ الفطرةَ" صحيح مسلم، إذن الوحي والشريعة مُناسبة للفطرة.

أنا عايز القواعد اللي بنقولها في الآخر إزاي وصلنا لها واحنا بنحاول نشرحها، مافهمناش بنحاول نشرحها على الأقل نخرج بالقواعد دي، دي القواعد اللي احنا عايزينها، الله عز وجل أنزل الماء ليُحيي الأرض، الله أنزل الوحي ليُحيي القلوب، الله عز وجل وصل لنا اللبن وحفظ اللبن من فرث ودم الله عز وجل حفظ الوحي من التبديل والتغيير، اللبن مُناسب للفطرة عشان كده ربنا قال إيه "لَبَنًا خَالِصًا" النحل:٦٦، صافي مفيش فيه خلط، القرآن صافي "خَالِصًا سَائِغًا" النحل:٦٦، سائغ يعني إيه؟ ربنا بيقول "يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ" إبراهيم:١٧، يعني بيحاول يبلعه بس ما بيتدحرجش، واقف في الزور، الشريعة ما تقفش في زورك أبدًا، الشريعة سائغة، مُناسبة.

الإنسان مفطُور إنه يتناسب مع أحكام الله، مفطور إنه يتناسب مع أحكام الله، اللي بيحاول يفرض على الناس شريعة غير شريعة ربنا هو بيصادم فطرته، بالظبط زي الحديث اللي في البخاري لما الرجل ركب البقرة وقعد يضربها عشان يحمل عليها حاجات فالتفتت إليه البقرة وقالت سبحان الله إنا لم نُخلق لهذا، إنا خُلقنا للحرث، دي مش وظيفتي، أنا وظيفتي إيه؟ الحرث، هي مش رافضه إنها تشتغل، هي بتقول له شغَّلني في اللي أنا مخلوقة ليه،كلٌ ميسر لما خلق له.. فتعجب!، القصة في البخاري فراح للنبي –صلى الله عليه وسلم– فقال أنا أؤمن أنا بهذا أنا وأبو بكر وعمر، حتى أبو بكر وعمر مكانوش حاضرين لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– موقن إن هم هيصدقوا طالما النبي –صلى الله عليه وسلم– مصدق.

الشاهد اللي بيفرض على الناس شريعة عامل زي اللي كان بيحمّل البقرة شغلة مش شغلتها، فكما أن الأنعام مفطور على شيء البشر مفطورين على شريعة معينه لو جبت لهم غيرها يجد عنت لذلك، ربنا بيقول إيه في سورة الحجرات " لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ " الحجرات:٧ يعني لو النبي –صلى الله عليه وسلم– التشريع بييجي على هواكم، العنت هيلف وهييجي عليكم انتم، لو انت معتقد إن هواك هيصلح المشقة اللي انت شايفها في التشريع، إنت واهم، لذلك قال "لَبَنًا خَالِصًا"، لبن صافي مش لبن مخلَّط، لبن صافي لذلك الوحي صافي، سائغًا الوحي مستساغ مش مصادم للفطرة ولا حاجة، "سَائِغًا لِلشَّارِبِين" للباحثين، للناس اللي عطشانه وحي وباحث ربنا هيوفقه وهيصل. نيجي بعد كده آخر خطوة بيقوم بيها البشر ربنا جاب نموذج للتعامل الخاطئ مع الوحي آية ٦٧ ونموذج للتعامل الرائع مع الوحي آية ٦٨ و٦٩.

مقارنة بين نموذج التعامل الخاطئ والتعامل الصحيح مع الوحي

إيه النموذج الغلط في التعامل مع الوحي، النموذج الغلط "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" والنموذج الصح "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" النحل ٦٧: ٦٩

الخطأ بتاع النموذج آية ٦٧ ثمرات النخيل والنحل والأعناب مش هتفهمه إلا لما تقارنه بنموذج النحلة، كلمة "تَتَّخِذُونَ" اللي في آية ٦٧ "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ" إيه؟ "تَتَّخِذُونَ"، موجودة في آية ٦٨ "وَأَوحَي رَبُكَ إِلَي النَحلِ أَنِ اتَخِذِي"، هنعمل مقارنة بين الاتنين عشان نعرف النموذج الغلط غلط ليه؟ والنموذج اللي كان صح صح ليه؟ عشان أنا أما آجي أتعامل مع القرآن فيه مراحل معينه لازم أمشي فيها.

أخطاء المتعاملين مع القرآن:

الخطأ الأول: التعامل الانتقائي

"وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ" رقم واحد "وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ" قارنها باللي بعدها، قارنها بآية ٦٩ كده اقرأ كده آية ٦٩ " ثُمَّ كُلِي" إيه؟ "مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"، أول خطأ وقع فيه المتعاملين مع القرآن هنا، بالرغم من إن هو بقى هنا إيه؟ هيتعامل مع وحي.

ربنا بيقول لك إيه أسباب الخلاف في البشرية؟ أسباب الخلاف في البشرية رقم واحد إن أعرض عن الماء رقم اتنين اللي اتضحك عليه ولبست عليه آيات القرآن وهو شايف إن اللبن مش صافي يعني أصلًا بعد عن الوحي، فيه ناس بتتعامل مع القرآن ويحصل خلاف، ازاي والقرآن واحد؟ إن هو تعامل مع القرآن تعامل انتقائي اللي هو ربنا سماها "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعضِ الكِتَابِ وَتَكفُرُونَ بِبَعض" البقرة : ٨٥

فيه فارق ما بين "وَمِن ثَمَرَاتِ النَخِيلِ وَالأَعنَابِ" إن هو ينقي الثمرات اللي هو عايزها وبين " ثُمَّ كُلِي" إيه؟ "مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ"، القرآن فيه أخلاق وجهاد وولاء وبراء وعبادة وطاعة وطلاق ونكاح، القرآن على بعضه "ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَافَّةً" البقرة:٢٠٨ اللي هييجي في آيات الأخلاق بس في القرآن وهيركّز عليها ويطرحها للناس بس، ده بيقدم للناس بينتج "سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا" التعامل الانتقائي مع القرآن هيخليك تطلّع منتج، تاني معلش أنا عارف إن الكلام تقيل.. تاني النبي –صلى الله عليه وسلم– قال في الحديث القرآن والسُّنة عاملين زي المطر اللي جه على أرض فكان منها أرض عملت إيه، كان منها أرضًا أنا عايز نحفظ التلات كلمات كان منها أرضًا نقية قبلت أنبتت كان منها أرضًا نقية قبلت أنبتت، أنبتت الإيه؟ أنبتت العشب والكلأ الكثير، فيه أحيانًا أرض مش نقية قوي مش هتقبل قوي بس بردو إيه؟، هتنبت هيبقى فيه أرض مش نقية قوي مش هتقبل قوي، وبرده هتعمل إيه؟ هتنبت العشب والكلأ الكثير الناتج من القلب النقي اللي قبل اللي أنبت عشب وكلأ نافع للناس، العشب والكلأ الناتج من الأرض اللي مش نقية قوي اللي ماقبلتش جدي قوي هتنبت سكرًا وإيه ورزقًا حسنًا، سكرًا يعني حاجات بتسْكِر، خمر ورزقًا حسنًا بيطلع حاجات كويسة وحاجات وحشة لذلك إنت بتستغرب أحيانًا بتسمع بعض الدعاة بيتكلم أحيانًا من القرآن وبيقول كلام جميل جدًا ومؤثر في الناس لكن فيه حاجات غلط.

فيه دُعاة بييجي يتعامل مع النص هو عايز يسير على خُطى النبي –صلى الله عليه وسلم– هو عايز يمشي على الخُطى لكن مابيوَفّقش.. ليه؟ رقم واحد لأنه تعامل مع القرآن تعامل إيه؟، انتقائي بييجي مثلًا عند آيات سورة البقرة يقوم واخد الآيات اللي بتتكلم عن الحج وفاصلها من وسط آيات الجهاد والقتال ويشرح للناس آيات الحج بس، طيب ما فيه آيات القتال وراها على طول!..

بييجي مثلًا آيات فيها أخلاق وبعديها ولاء وبراء عامل بالظبط زي اللي بييجي يشرح للناس "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا" إيه؟ "إِنَّا نَصَارَى" المائدة: ٨٢، ويسيب بعدها على طول "لَقَدْ كَفَرَ الذِينَّ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الَمسِيحُ ابنُ مَريَم" المائدة:١٧، أهه التعامل الانتقائي ده يعني النموذج بتاع سورة المائدة يخلي واحد يكره اليهود والمشركين، ده رزق حسن والّا مش رزق حسن؟ بس يخلي واحد يحب مين؟ يحب النصاري ده السَّكَر بقى، ده الخبل، ده الخبل الفكري الموجود جه ازاي؟

إنه تعامل مع القرآن تعامل إيه؟ انتقائي فينتج رزق حسن، ليه أنتج رزق حسن؟ لأنه تعامل إيه؟، بس ليه جاب الرزق الحسن مع إنه لأنه من القرآن، لأنه جاي من القرآن، يبقى القرآن أي تعامل معاه خير، البركة القرآن بتنال حتى المنافق، النبي –صلى الله عليه وسلم– لما قال " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن"، منافق بس عشان ارتبط بالقرآن يقرأ القرآن "مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر" صحيح البخاري

يبقي أي تعامل مع القرآن هينتج لذلك الحسرة إن اللي بُعاد عن السنة وبعاد عن الفهم الصحيح للدين هو اللي يتعامل مع القرآن وأهل السنة هم اللي يبعدوا عن القرآن دي مشكلة!

فتجد المفكرين الكلمة اللي طالعة جديد، المفكرين، مفكر بقت علامة دلوقت على اللي مش مؤمن بالسُّنة وفكره إيه طلق، مع إن السُّنة بتدي ضوابط إذا كان القرآن بيدي قواعد السُّنة بتدي ضوابط معايا، مايعرفش يخرج براه فييجي يتعامل مع السُّنة يظن ظنه العقلي إن هو متقيد، محدود، فيقول لك لا يا عم كسر الـ إيه،كسر لي الحدود دي أنا عايز انطلق فيسيب السُّنة فيتعامل مع القرآن فيقول كلام مُبهِر.. ليه؟ لأنه جاي من القرآن، ده اسمه إيه بقى في الآية؟، الرزق الحسن، الكلام بقى الخبلي اللي بيقوله ده اللي ربنا سماه إيه سَكَر، يبقى لما النبي –صلى الله عليه وسلم– قال فيه دُعاة هييجوا الدُعاة دول "يهدون لغير هَديي تعرف منهم وتنكر" صحيح البخاري خيرٌ فيه دَخَن، يبقى ناس بتتعامل مع القرآن تعامل انتقائي فبما إنه بيتعامل مع القرآن بينتج رزق حسن وبما إنه بيتعامل تعامل انتقائي بينتج سَكَر، وجبنا النموذج بتاع إنه ممكن يشرح آيات سورة المائدة يكره الإنسان جدًا عنده أو، عنده براء، عنده عقيدة البراء من اليهود والمشركين لكن فاقد هذه العقيدة مع النصارى، الخلل ده حصل لأنه انتقى آيات وشرحها للناس، طيب يبقى رقم واحد الغلطة "وَمِن ثَمَرَاتِ النَخِيلِ" التعامل انتقائي.

الخطأ الثاني: التعامل الفكري الباهت

رقم اتنين الغلطة "تَتَخِذُونَ مِنهُ سَكَرًا وَرِزقًا حَسَنًا" اقرأ الآية اللي بعد كده ماذا فعل النحل قبل أن يتفاعل مع الثمرات، عمل إيه النحل، اتخذ بيوت " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ"

وبعدين "ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا" "ثُمَّ كُلِي" قبل ما النحل يتعامل مع كل الثمرات مر بمرحلة سكون في بيوت معينة دي المرحلة "التهيؤ الإيماني للتعامل مع القرآن.. يعني إيه؟ حديث جُندب بن عبد الله المشهور اللي بيقول "كنا غلمانًا حزاورة مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم يعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان"، يعني إيه لكلام ده؟

التعامل مع القرآن هو أصلًا القرآن كتاب هُدى، اللي مش هيتعامل رقم واحد تعامل إيماني مع كتاب الله باحث عن الإيمان والهُدى وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً" اللي مش هيبحث عن الهُدى والرحمة في القرآن أولًا ويبحث عشان زيادة الإيمان هيتعامل مع القرآن مجرد كتاب فكري، هيخليه يقول كلام حلو لكن برده يدخّله في مرحلة الرزق والإيه؟ والسَكَر.

يبقى لازم مرحلة إيمان وبناء إيمان عشان تعرف تتعامل مع القرآن التعامل المباشر اهتمام بالفروض، النوافل،كثرة الدعاء، لذلك التهيئة دي ربنا ذكرها برده في سورة النحل هنا قال " فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " يبقى لازم مرحلة استعاذة من الشيطان قبل الدخول في القرآن.

لذلك أنا هاديك مثال على معنى الكلام ده، مش قصدي إنك تقعد سنتين الأول تتربى إيمان وبعدين تروح القرآن، لا، ما هو القرآن هو اللي هيربيك إيمانيًا ممكن في نفس المرحلة إزاي؟

فكرة الجو اللي بتتلقى فيه القرآن أحيانًا أنا أتعجب لسه واحد بيحكي لي أحد اللي بيقدموا البرامج الساخرة التافهة

أحد الناس بيقول له آية من كتاب الله عز وجل بينصحه، قام الراجل اللي بيقدم البرنامج الساخر التافه ده رد عليه وقال له لأ الآية دي سبب نزولها كذا.. أهكذا يُتعامل مع القرآن؟!

أو تيجي مذيعة متبرجة مثلًا تكلمه تقول له انتوا هتعملوا إيه في الشريعة يقول لها والله ده ربنا بيقول كذا، ده مش جو تلقي قرآن!، لذلك الجزء الأول كله في سورة البقرة بيتكلم عن إيه؟ بيتكلم عن مين؟ الجزء الأول أكتر الجزء الأول في سورة البقرة اتكلم عن مين؟، أكتر الجزء الأول من سورة البقرة عن بني اسرائيل، التشريعات.

التشريع في سورة البقرة بدأ من الجزء التاني وأول تشريع بدأ من أول تحويل القبلة "سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ" البقرة:١٤٢ وبعدين بقى آيات القبلة آيات "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" البقرة:١٥٨ وبعدين دخل في آيات في القصاص وآيات في الصيام وفي الحج وفي النص كانت حاجات في الميراث والحلفان ودخل في القتال والصدقة وأحكام المال الجزء الرهيب التشريعي ده، طيب ليه السورة ما اتعكستش؟ مش سورة البقرة بادئة من الأول ربنا بيقول لك "الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ" فيه هدى.. طيب يا رب قول لنا الهدى على طول!

لأ قبل ما يقول لك الهُدى لازم تعرف إن الناس اللي تعاملوا مع الهُدى زي تعامل بني إسرائيل عمرهم ما هيستفيدوا من الهُدى، يعني اللي هيدخل سورة البقرة أو هيدخل القرآن بنفسية بني إسرائيل مايكملش أصلًا مش هيستفاد، اللي هيدخل القرآن مراوغ، انتقائي، بيدور علي مصالحه زي أفعال بني اسرائيل الطويلة في سورة البقرة، ده مش هيُنتج انسان من القرآن.

عشان كده أهم حاجة في التعامل مع القرآن "لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى" قبل ربنا ما يقول لك فيه هدى قال لك الأول لا ريب فيه لازم توصل لمرحلة لا ريب فيه الأول فالتعامل مع القرآن تعامل فكري باهت مابينتجش هُدى، مابينتجش رحمة إن ربنا قال "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً".

من موانع إن القرآن يفض الخلاف وماينتجش هدى ورحمة:

١- التعامل الانتقائي مع القرآن

يعني ممكن اتنين بيتعلموا قرآن ويحصل بينهم الخلافات أه لأن ده ممكن بيتعامل تعامل انتقائي وده بيتعامل تعامل صحيح أو الاتنين بيتعاملوا تعامل انتقائي.

٢- الاتنين بيتعاملوا مع القرآن تعامل باهت

تعامل جبلي فكري النبي -صلى الله عليه وسلم- بيقول "اقرَؤوا القرآنَ ما ائتَلَفَتْ قُلوبُكم، فإذا اختَلَفتُم فقوموا عنه" صحيح البخاري التعامل مع القرآن مش عشان الخناق النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل على بعض الصحابة يضرب كل واحد منهم ينتزع آية من القرآن قيل إن هم كانوا بيتكلموا في القدَر ده يجيب آية وده يجيب آية مع إن هم بيتعاملوا بالإيه؟ بالقرآن، فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- "فَكَأنَّما يُفقَأُ في وجهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ منَ الغضَبِ فقالَ بِهَذا أُمِرتُمْ " صححه الألباني

يبقى لو هنتعامل مع القرآن التعامل ده هنختلف، لو هنتعامل عشان نتخانق انت بتجيب آية وأنا باجيب آية! لأ، أنا عايز أكسب، يعني هنتسلح بنصوص القرآن ضد بعض عشان أنا أكسبك؟! احنا كده هنفضل مختلفين حتى ولو بنتعامل مع القرآن.

هكذا يُتعامَل مع القرآن

لذلك تلقي القرآن في جو خاشع، نزول القرآن أصلًا مشهد مهيب "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" كانت رِجل الصحابي لما كانت على رِجل النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت هتنكسر والنبي –صلى الله عليه وسلم– بيتفصد عرق، بيتفصد عرقًا من الفصد، الفصد ده لما تيجي تقطع الوريد يقوم الدم بينزل دفعات، في الليلة الشديدة البرودة النبي –صلى الله عليه وسلم– العرق بينزل مابيبطلش من ثِقل نزول القرآن، ده جو نزول القرآن صحابي بس كان جنب النبي –صلى الله عليه وسلم– رجليه كانت هتنكسر، أُمال إيه اللي بيحصل؟

الدابة.. الرحل بتاعها بيكاد يمس الأرض لما بينزل الوحي على النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو على الدابة، ده جو نزول القرآن الملائكة كلها بتبقى خضعانًا في السماء بيسمعوا صوت كجر السلسلة على الصفوان كأن سلسلة اضربت، صوت كل الملايكة بتخر منه صعقة، مشهد نزول القرآن من أول السماء للأرض مشهد مهيب هكذا يُتعامل مع القرآن.

ده اللي بيوَفّق لهداية القرآن ربنا بيقول "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ" إيه؟ "خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا" الجبل هيتأثر من القرآن ليه؟ "لرأيته خاشعا متصدعا من" إيه" مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " الحشر: ٢١ يبقى لو القرآن مابيزدناش خشية لله مش هيأثر مش هيزيدنا هدى ورحمة، التعامل الجدلي الفكري الباهت البارد مع آيات القرآن لا تزيدنا هدىً ولا تزيدنا رحمة بل تزيدنا إيه؟ خلافًا " وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ".

التعامل الباهت اللي مفيش فيه " اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ" اتخاذ البيئات الإيمانية الأول وفترات طويلة الإنسان بيمكث فيها في بيئات الإيمان وبيحرص على إيمانه في الأول زي الكتب الرائعة بتاعة الدكتور مجدي الهلالي "الإيمان أولًا" فعلًا أهم طريقة للتعامل مع القرآن الإيمان أولًا ده بيوفق لفَهم كتاب الله حريص على الإيمان.

يبقي الفارق الأول ما بين النموذجين رقم واحد " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ " ودي " كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ " رقم اتنين " تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا " هنا " اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا " يبقى رقم واحد ننقل بقى على الآية بقي بتاعة النحل " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " طيب بيئات الإيمان دي أنا اخترعها بنفسي؟ لأ.. ربنا بيقول "وَأَوْحَى رَبُّكَ" إيه؟ لأ الحاجات اللي ربنا قال لك اعملها اعملها، قال مثلًا "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله " يبقى أجتمع مع ناس مؤمنة في بيت من بيوت الله، قال لك إقامة الفرائض.. أُقيم الفرائض، قال لك اِلْحَق بالصالحين.. ألحق بالصالحين، يبقى البيوت اللي أنا باتخذها برده مش بمزاجي ده

بوحي " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " ثم " كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" التعامل الكامل مع آيات القرآن..

التعامل الصحيح مع القرآن.. إيه هو التعامل الصحيح؟

١- التعامل الإيماني، الباحث عن الهدى واتخاذ بيئات الإيمان للتعامل مع القرآن.

٢- التعامل الكامل الكلي مع القرآن مش التعامل الانتقائي دي طرق التعامل لفَهم كتاب الله.

٣- العمل بكتاب الله

الخطوة رقم تلاتة بعد ما "كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" بعد ما تفاعلت مع كل آيات القرآن تعمل إيه "فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا" خد بالك بالعطف هنا جه بالفاء فاء السرعة "فَاسْلُكِي" يعني إيه؟ هتتحرك بقى النحلة، النحلة هتبدأ تتحرك يبقى التعامل مع القرآن بدون عمل لا ينتج فهم متكامل لكتاب الله، يعني لو إحنا كل قضيتنا في التعامل مع القرآن القاعدة دي؟ لأ.. ده تعامل ناقص، مفروض بعد القاعدة دي في التعامل مع القرآن نبدأ نتحرك..

ده ينزل يكلم الناس عن ربنا، ده يروح لأسرة فقيرة، ده يدعو الناس، ده يتعامل بالأخلاق، ده يصلح حاجة في دين ربنا، ده يعمل حاجة لدنيا الناس، "فَاسْلُكِي" بتتحرك.

خد بالك كلمة "فَاسْلُكِي" السلوك ده الدخول، الإيلاج تدخل جوّه ودي فاء السرعة إن ماتفصلش بين العلم والإيه؟ والعمل المفروض القرآن زي ما قُلنا في أول الدرس بيديك وقود، بيديك أنبتت، بيديك سكينة، بيديك رحمة.

يبقى انت بتقيّم نفسك، اتعاملت مع القرآن صح والّا لأ، هل انت جالك وقود والّا لأ، يعني واحد مثلًا قعد جلسة مدارسة قرآن من الفجر لغاية الساعة ستة ونص وقام ماصلاش الضحى ودخل نام وراح عليه الدور وكسل، هو فيه إيه؟!

يعني فيه حاجة خطأ إنت قلبت القرآن هنا كلام فكري! لأ المفروض "كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ" على طول فـ إيه؟، "فَاسْلُكِي" طيب أتحرك في إيه؟ في اللي ربنا قال لي عليه وفهمته من القرآن، قال "فَاسْلُكِي" إيه؟ "سُبُلَ رَبِّكِ" اللي ربنا قال لي عليه أمشي فيه، كلمة سبل.. السبيل في اللغة بيسموه إيه؟ بيقول لك السبيل في اللغة هو الذي سبلته السابلة يعني الشيء اللي مشي فيه ناس قبلك فبقى طريق ممهّد سواء مشي فيه ناس قبلك ضُلّال أو الهداية بيسموه سبيل لذلك سبيل تُطلق على سبيل الحق وعلى سبيل الباطل "وَلِتَستَبِينَ سَبِيلُ المُجرِمِين" الأنعام:٥٥ الطريق اللي اتمشى فيه ناس وسفلتوه قبلك، ده اسمه سبيل.

فطرق أهل الباطل ممهده لأن فيه ناس مشيوا فيها وطرق أهل الباطل ممهده،"وَهَدَينَاهُ النَجدَينِ" البلد:١٠، "فَاسْلُكِي سُبُلَ" بتمشي مع الصالحين في الطريق، "سُبُلَ رَبِّكِ" إيه؟ "ذُلُلًا" المفروض تجد نفسك في الأعمال الصالحة بعد القرآن، الطريق بالنسبة لك سهل مُذلَّل، "فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ" إيه؟ "فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا"، "ذُلُلًا" الطريق بقى مُذلّل، امتى بقى مذلل؟، لما اتعامل مع القرآن، يبقى أنا لما باتعامل مع القرآن، بالرغم من إن أنا كلت

من كل الثمرات إلا إن أنا اكتشفت نفسي في أعمال الخير واكتشفت نفسي في الدعوة إلى الله، واكتشفت نفسي في حاجه معينة، مش لازم كلنا نبقى نفس الحاجة، هأُفاجأ إن القرآن بيوفّقني للحاجة اللي أنا بالنسبة لها مُيسر، النبي صلي الله عليه وسلم يقول "اعملوا فكلٌ مُيَسَرٌ لِما خُلِقَ له" صحيح البخاري

كل واحد فينا متيسر لحاجة غير التاني.. فيه واحد بيعرف يذاكر أكتر، فيه واحد بيعرف ينطلق أكتر، فيه واحد بيعرف يشتغل أكتر في الأعمال الخيريه، فيه واحد كذا..، احنا مختلفين.

"فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ"، وبعدين "سُبُلَ رَبِكِ"، إنت في العمل لدين الله بعد القرآن انت محفوف بالربوبية، "فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ" إيه؟ "ذُلُلًا".

٤- يخرج النور بدون تكلف من الإنسان

لما النحل سمع الكلام، ومشى، راح البيوت، وكل من كل الثمرات وسلك السُبل، ربنا قال بعد كده إيه؟ "يَخْرُجُ"، شوف الفرق ما بين "تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا" انت اللي بتطلّع النتيجة، وبين هنا إيه؟ "يَخْرُجُ"، لوحدها بدون ما تتكلف بقى النحلة وتحاول.. لأ ربنا قال إيه؟، "يَخْرُجُ" لوحده.

قضايا الخلاف من القضايا التي تركز عليها سورة النحل

يبقى النور اللي بيخرج من التعامل الحقيقي مع القرآن بيخرج بسلاسة، مش بتكلُّف ولا حاجة.. لأ، بتعيش مع القرآن معايشة إيمانية، بيئات إيمان، بتقرأ القرآن على بعضه كُل الثمرات، بتعمل أعمال صالحة تُفاجأ إنك بتقول كلام فيه نور، ألّه! انت جبت الكلام ده منين، إنك انت بتتدَبّر قرآن، بتصلي قيام ليل، بتعمل أعمال صالحة، بتحاول ترضي ربنا، تُفاجأ إنك بتقول كلام فيه نور، جبت الكلام ده منين؟

من القصة اللي فاتت دي.. "يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ" إيه؟ "مُخْتَلِفٌ"، ألّه!، يعني هيبقى فيه خلاف تاني، ده ربنا بيقول "وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ" ،خد بالك إن سورة النحل من المواضيع اللي اتكلمت فيها الاختلاف، حتى موضوع السبت بتاع اليهود لما جه في آخر سورة النحل "إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ" النحل:١٢٤ يبقى من القضايا اللي بتركز عليها سورة النحل، قضايا الخلاف..

معرفة الخلاف المقبول والخلاف المرفوض

يعني القرآن هيخلي فيه خلاف والّا مش هيخلي فيه خلاف؟ فيه خلاف تنوع مقبول، وفيه خلاف تضاد مرفوض، الخلاف بين الإسلام والعلمانية خلاف مرفوض، الخلاف بين الحنابلة والشافعية خلاف مقبول، ليه؟

لأن الخلاف بين الاسلام والعلمانية مش أصول واحدة، الأصول اللي خرج منها مش واحدة، الأصول اللي خرَّجت الحنابلة والشافعية والمالكية والأحناف أصول واحدة.. القرآن والسُّنة، لذلك قال "شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ" إيه؟ "أَلْوَانُهُ"، العسل اللي بيطلع حقيقةً ألوانه مختلفة، على حسب إيه؟ على حسب الغذاء بتاع النحل، يبقى علي حسب ما

الإنسان انطلق أكتر، أكتر في القرآن والسنة على حسب لون العسل بتاعه، فيه واحد ربنا فتح عليه في القرآن والسُّنه قوي، تلاقيه بينتج عسل صافي خالص، فيه واحد خاف ماعرفش يكمل قوي، تلاقيه بينتج عسل، لكن كل ألوان العسل فيها إيه؟ "شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ" إيه؟ "شِفَاءٌ لِلنَّاسِ".

العالم ينتظر تفاعل النحل مع الثمرات لتخرج العسل الذي فيه شفاءٌ للناس، العالم ينتظر تفاعل الدُعاة مع القرآن لإخراج النور الذي فيه شفاء للناس، العالم ينتظر تفاعل النحل مع الثمرات لإخراج العسل الذي فيه شفاءٌ للناس، العالم ينتظر تفاعل الدُعاة مع الوحِي لإخراج النور الذي فيه شفاءٌ للناس، فيه شفاء للناس، فيه درجات الشفاء مختلفه على حسب الألوان.

كلمة حق أُريدَ بها باطل

للأسف أنا بأسمع بعض الليبراليين وخاصة الليبراليين الحقيقين اللي هم بعيد كل البعد عن الإسلام أصلًا، يقول لك إيه؟ يقول لك الليبرالية هي ملخص كلمة الإمام الشافعي، "رأيي صواب بيحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

يقول لك هي دي الليبرالية.. الليبرالية إن مفيش حاجة اسمها حق مطلق، الليبرالية مفيش حاجة اسمها إيه؟ حق مطلق، يعني مفيش حاجة اسمها انت صح على طول، لأ، دايمًا قول أنا مؤمن بس جايز دين الإسلام يطلع غلط، وغيري كافر بس جايز يطلع هو على الحق.

يقول لك تعامل مع الحياة كده، دي الليبرالية، دي أصل من أصول فَهم الليبرالية، ويستشهد بكلمة مين؟! الشافعي لما بيقول كده، بيقول كده لإنسان متفق معاه في الأصول، لإنسان أكل معاه من كل الثمرات، وسلك سبل ربه ذُللا، فطلّع شراب إيه؟ مختلف ألوانه، إن ممكن يطلع فَهم الشافعية غير فَهم الحنابلة، غير فَهم الأحناف، مكانش بيقول كده للي بره الإسلام أصلًا، بدليل إن الشافعي اتكلم في أبواب الجهاد والقتال والجزية والكفار والمرتدين في كتاب الأم بتاعه الشافعي، يعني سِبت كتاب الأم بتاع الشافعي كله، وعجبتك الكلمة دي! يعني سايب تأصيلات الإمام الشافعي وفقهه، وجاي عند الكلمة دي! فده طبعًا كلمة حق أُريدَ بها باطل.

فاحنا بنقول الاختلاف الطبيعي، ربنا بيقول لك، البشر هيظلوا مختلفين ده إلى يوم القيامة في أفهامهم وفكرهم، وده إثراء إن سبحان الله أحيانًا في دولة فقه الإمام أبو حنيفه ينفع، في دولة تانية فقه الإمام الشافعي ينفع، طالما أصولهم واحدة مستمدة من القرآن والسُّنة، أصول ثابته، مش مطلعين لك سَكَرًا وإيه؟ ورزق، مش بيطلع سَكَر ورزق لأ دول بيطلعوا رزق حسن، لكن، مختلف إيه؟ ألوانه، ولكل الألوان فيها شفاءٌ للناس، والشفاء مختلف على حسب درجة نقاء إيه؟ العسل." إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ" إيه؟ "يَتَفَكَّرُونَ" النحل: ٦٩

ملخص لما جاء بالدرس

كان نفسي نكمل بس متهيألي كده وجبة دسمة قوي كفاية كده نكتفي بهذا القدر، نعيد تاني القواعد بسرعة، الله عز وجل نزل الوحي لفض الخلاف وهُدى ورحمةً ولكن لأهل الإيمان دي الآية الأولى.

الآية التانية كما أن الله عز وجل أنزل ماءً من السماء ليحيي الأرض الميتة، الله عز وجل أنزل الوحي من السماء ليحيي القلوب المنصته، "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" النحل: ٦٥

كما أن الله عز وجل برحمته وفضله تكفَّل اللبن حتى يصل إلينا، من بين فَرثٍ ودمٍ خالصًا سائغًا، تكفل الله عز وجل بوصول الوحي إلينا، من بين استرقي شياطين الجن وتدليس شياطين الإنس حتى يصل إلينا من ين فَرثٍ ودمٍ سائغًا خالصًا لنا.

الآية اللي بعد كده، في التعامل مع الوحي..

بعض الناس بيتعامل مع الوحي بطريقتين خاطئتين:

الطريقة الأولي، التعامل الانتقائي، الطريقة التانية، التعامل الفكري الباهت وعدم البحث عن الهدي إن هي مجرد أفكار.

التعامل الصحيح مع القرآن: رقم واحد، التعامل الإيماني اتخاذ بيئات الإيمان، تعلم الإيمان قبل القرآن،

رقم اتنين، التعامل الكُلي الشامل مع آيات القرآن، "مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ".

رقم تلاتة، العمل بكتاب الله "وَجَاهِدْهُمْ بِهِ" الفرقان:٥٢ وليس فقط التعلم لأجل الاستئناس الفكري، يعني والاستمتاع الفكري، لأ، من خشية الله وتعمل بكتاب الله، "اسلُكِي سُبُلَ رَبِكِ"

رقم أربعة، ده هينتج شراب مختلف، "يَخرُجُ مِن بُطُونِهَا" هيبقى هيخرج النور بدون تكلف من الإنسان، الشراب ده مختلفٌ ألوانه، أفهام الناس في التعامل مع الوحي هتظل مختلفة إلى يوم القيامة ولكن ده خلاف مقبول.

يبقى إذن، يُطرح علينا أحيانًا مسألة.. نقول هذا خلاف سائغ، هذا خلاف سائغ، يعني مثلًا لما نقول زكاة الذهب الحُلِي للمرأة، هل بيجب عليها الزكاة، والّا لا يجب عليها الزكاة؟ فتجد الأحناف قالوا يجب عليها زكاة، والأئمة التلاتة أبو حنيفة ومالك والشافعي قالوا لا تجب على حُلِي المرأة الزكاة، ده خلاف اسمه خلاف إيه، سائغ، الخلاف اللي مش سائغ إنه يقول لك إيه، مفيش حاجة اسمها زكاة، الزكاة دي كانت مرحلة اقتصادية،كانت الدولة الاسلامية محتاجة فيها طريقة لجمع الفلوس من الناس، يمكن استبدال الزكاة بالضرائب، فلو استطعنا جمع المال من الناس لإنشاء الدولة الاسلامية من غير الزكاة، نستبدل! ده كلام هبل، يعني سيبك من إنه شكله حلو في الأول كده، ده سَكَر، ده خَبَل، ده مش خلاف سائغ أصلًا، ده مش مقبول، ده ماينفعش تتعامل معاه بكلمة رأيي صواب يحتمل، ده لأن مش من أصولك أصلًا، مش نابع من الأصول، ده فرث ودم، ده مش لبن، ده مش فطرة، ده مش علم.

زي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– رأي رؤية، إنه يشرب لبن،كوب لبن، ثم يعطي، حتى خرج من أظفاره، وأعطى بقية اللبن لسيدنا عمر –رضي الله عنه–، فعُمر –رضي الله عنه– سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– فما أوّلته؟ قال العلم، والعلم هنا اللي بينفع في الخلاف، الهدى والعلم، "مثلُ ما بعثني الله به من الهدي والعلم"، الهدى ده

الإيمان العام، العلم ده اللي بييجي.. السيف اللي بيفض الخلاف، اللي بيفض المتشابهات، يبقي دي الخطوات الأربعة للتعامل مع كتاب الله، حتى نخرج من الخلاف.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل القرآن الذين يتدبرونه ويعملون به ويجاهدون به.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وجزاكم الله خيرًا.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36